

التحرير والتنوير

وذلك القضاء يحتمل أموراً : منها أن يأتيهم بالآية المقترحة فيؤمنوا أو أن يغضب فيهلكهم أو أن يصرف قلوبهم عن طلب ما لا يجيبهم إليه فيتوبوا ويرجعوا .

وجملة (وإِنا أعلم بالظالمين) تذييل أي إنا أعلم مني ومن كل أحد بحكمة تأخير العذاب وبوقت نزوله لأنه العليم الخبير الذي عنده ما تستعجلون به . والتعبير (بالظالمين) إظهار في مقام ضمير الخطاب لإشعارهم بأنهم ظالمون في شركهم إذ اعتدوا على حق إنا وظالمون في تكذيبهم إذ اعتدوا على حق إنا ورسوله وظالمون في معاملتهم الرسول A .

(وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمت الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين [59]) عطف على جملة (وإِنا أعلم بالظالمين) على طريقة التخلص . والمناسبة في هذا التخلص هي الإخبار بأن إنا أعلم بحالة الظالمين فإنها غائبة عن عيان الناس فإنا أعلم بما يناسب حالهم من تعجيل الوعيد أو تأخيره وهذا انتقال لبيان اختصاصه تعالى بعلم الغيب وسعة علمه ثم سعة قدرته وأن الخلق في قبضة قدرته .

وتقديم الطرف لإفادة الاختصاص أي عنده لا عند غيره . والعندية عندية علم واستئثار وليست عندية مكان .

والمفاتيح جمع مفتاح بكسر الميم وهو الآلة التي يفتح بها المغلق وتسمى المفتاح . وقد قيل : إن مفتاح أفصح من مفتاح قال تعالى (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة) .

والغيب ما غاب على علم الناس بحيث لا سبيل لهم إلى علمه وذلك يشمل الأعيان لمغيبية كالملائكة والجن والأعراض الخفية ومواقيت الأشياء .

و (مفاتيح الغيب) هنا استعارة تخيلية تنبني على مكنية بأن شبهت الأمور المغيبة عن الناس بالمتاع النفيس الذي يدخر بالمخازن والخزائن المستوثق عليها بأقفال بحيث لا يعلم ما فيها إلا الذي بيده مفاتها . وأثبتت لها المفاتيح على سبيل التخيلية . والقرينة هي إضافة المفاتيح إلى الغيب فقلوه (وعنده مفاتيح الغيب) بمنزلة أن يقول : عنده علم إنا لغيب الذي لا يعلمه غيره .

ومفاتيح الغيب جمع مضاف يعم كل المغيبات لأن علمها كلها خاص به تعالى وأما الأمور التي لها أمارات مثل أمارات الأنواء وعلامات الأمراض عند الطبيب فتلك ليست من الغيب بل من أمور الشهادة الغامضة . وغموضها متفاوت والناس في التوصل إليها متفاوتون ومعرفتهم بها من

قبيل الظن لا من قبيل اليقين فلا تسمى علما وقيل : المفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم وهو البيت أو المخزن الذي من شأنه أن يغلق على ما فيه ثم يفتح عند الحاجة إلى ما فيه ونقل هذا عن السدي فيكون استعارة مصرحة والمشبّه هو العلم بالغيب شبه في إحاطته وحجبه المغيّبات ببيت الخزن تشبيه معقول بمحسوس .

قبلها التي للجملة بيان فهي (عنده) بمعنى مبيّنة (هو إلا يعلمها لا) وجملة A E ومفيدة تأكيداً للجملة الأولى أيضاً لرفع احتمال أن يكون تقديم الطرف لمجرد الاهتمام فأعيد ما فيه طريق متعين كونه للقصر .

وضمير (يعلمها) عائد إلى (مفاتيح الغيب) على حذف مضاف من دلالة الاقتضاء . تقديره : لا يعلم مكانها إلا هو لأن العلم لا يتعلق بذوات المفاتيح وهو ترشيح لاستعارة مفاتيح الغيب للعلم بالمغيّبات ونفي علم غيره لها كناية عن نفي العلم بما تغلق عليه المفاتيح من علم المغيّبات .

ومعنى (لا يعلمها إلا هو) أي علما مستقلا به فأما ما أطلع عليه بعض أصفائه كما قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول) فلذلك علم يحصل لمن أطلعه بإخبار منه فكان راجعا إلى علمه هو . والعلم معرفة الأشياء بكيفية اليقين . وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال " مفاتيح الغيب خمس (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) "